وبعض الفئات الاجتماعية، كانت بهدف الاستعانة بهذه الفئات للسيطرة على الاكثرية الوطنية. أما الصهيونية، فهي، منذ نشأتها وحتى اليوم، تعمل جاهدة على تغييب الشعب الفلسطيني، واقتلاع كل طبقاته، وفئاته، ومؤسساته، ولم تسع الى اقامة أي حلف مع أية فئة، أو طبقة اجتماعية، أو مؤسسة وطنية (ما عدا التحالف القائم على العمالة). وقد اقتلعت الصهيونية هذا الشعب بجميع فئاته وطبقاته. وهذه المسألة، بحد ذاتها، هي من اكثر التجارب الاستعمارية الاستيطانية في التاريخ المعاصر غرابة. ونتيجة لهذا القهر الجماعي، قامت منظمة التحرير الفلسطينية، حركة لكل المتضررين، أي حركة لكل الشعب الفلسطيني، بدون استثناء. في هذه الحالة، يصبح التحدث عن اليمين واليسار ليس اكثر من ترف فكري باهت تجاه اعظم تحالف شعبي عرفه التاريخ الوسيط والمعاصر. قد يظهر اليمين واليسار عندما تقام الدولة الفلسطينية؛ وذلك على خلفية التحالفات التي ستنشأ لتقرير نوع الحكم الاقتصادي والسياسي.

عندما نشأت المنظمة لم تسأل اعضاءها وفصائلها عن انتماءاتهم الايديولوجية والسياسية، أو عن عقائدهم الاجتماعية، ومواقعهم الطبقية؛ بل ضمّتهم الى صفوفها، ثوريين، استقلاليين، وطنيين، وقوميين. أما الاجتهادات التي تظهر داخل اطار م.ت.ف. فقد تكون خلفياتها برجوازية، أو اشتراكية، أو وطنية، الخ، ولكن يبقى خطها هو التحرير؛ وايـة فئة تنحرف عن خط التحرير هي يمينية خائنة؛ كما ان جميع دعوات الانشقاق والتقسيم هي دعوات يمينية خائنة؛ واية دعوة لحرف المنظمة الى اتجاه ايديولوجي، أو مذهبي، معين، هي دعوة يمينية خائنة. فليس للمنظمة ايديولوجيا معيّنة؛ بل لها خط سياسي استقلالي. فالايديولوجيات تحرفها عن سيرتها وتبعثرها فرقاً. من هنا، نجد ان م.ت.ف. تنفتح على كل الاتجاهات، والبلدان، سواء أاشتراكية كانت أو برجوازية. وهذا الانفتاح هو التعبير الصادق، والواقعي، عن التشكيلة الاجتماعية التي تتألف منها المنظمة. ان قوة، وجماهيرية، م.ت.ف. اكتسبتها، وتكتسبها، من تحالفها مع مختلف الفئات الاجتماعية، ولكن، ليس على حساب اهدافها الثابتة، بل على مهارة التكتيك والتوجهات الصحيحة. انني، لا انفي عن المنظمة الخطأ، وكيف لا تخطىء وهي حركة جماهيرية ثورية واسعة ؟ ان البعض يشكو كثرة شعارات المنظمة، وتبدلها، وتغيّرها، على مدى العشرين سنة الاخيرة (دولة فلسطينية علمانية، دولة مستقلة في الضفة والقطاع، الخ)؛ ولكن يبدو لي ان الهدف الاساسي ما زال صامداً، مع ان طرق الوصول الى هذا الهدف قد تغيرت. وهذا ما يسمى بتكتيك العمل السياسي والثوري. ان مراجعة سريعة لفترة العشرين سنة الأخيرة تظهر ان الانتقال من شعار الى آخر يتساوق مع المتغيرات السياسية العالمية وانحسار المد الثوري في منطقتنا والعالم. ان شعار التحرير الكامل ظهر في اعوام المد الثوري. ففي تلك المرحلة، كانت الثورة الفيتنامية نموذجاً ساطعاً على المناخ الثوري العام. الا ان هذا المد قد تقلّص بعد وفاة الزعيم الوطني الكبير جمال عبدالناصر، وحرب أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الاردن، وتمثيلية النصر والخيانة في حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣.

ان الثورات الوطنية، الآن، تقوم بالدفاع عن نفسها، ومكتسباتها، لا غير؛ وقوى اليسار والتقدم، في اوروبا، تنهزم أمام هجمات اليمين الاوروبي. وقد انعكس مجمل هذه الاوضاع سلباً على الاوضاع الثورية الوطنية والاجتماعية في اوروبا؛ كما انها انعكست على منطقتنا العربية، من محيطها الى خليجها: الحرب العراقية ـ الايرانية، حرب لبنان، الغزو الاسرائيلي ـ الاميركي للبنان، الخ.

وهكذا، فان الشعارات التي ترفعها أية حركة وطنية تحررية، لا تعكس الهدف فحسب، بل والظروف الموضوعية التي ظهر فيها الشعار. وبذلك، فان شعار التحرير الكامل ـ بغض النظر عن صوابيّته أو خطأه ـ قد ارتفع في ظل ظروف ثورية لا مثيل لها في تاريخ حركة التحرر الوطني الحديث. فاذا عرفنا ذلك وأدركناه، نستطيع ان نعالج خلافاتنا وطبيعة شعاراتنا في جو من التفاهم والوعي. فكل شعار محكوم بالاوضاع والظروف التي نشأ فيها؛ وتغيير الشعار، أو تبديله، يعكس الظروف الاقتصادية والسياسية المتغيرة والمتبدلة. ولكن الاصل، هنا، هو التمسك بالهدف، وهو اقامة الدولة العربية الفلسطينية على القسم المتبقي من ارض فلسطين، واشاعة الديمقراطية السياسية، بما